مباحث علمية

عقلية الطفل

سلسلة مقالات عن عقل الطفل وحياته

(٤) فلسفة الطفل الدينية

أن الطفل فيلسوف روحاني لان نفسه طاهرة غير ملوثة بأقذار العالم التي تحجب عن الانسان الاسرار السماوية . فقلبه الصغير ملآن بنور الحي ينير بصيرته ويجعله حساساً لكل شيء علوي مقدس . وأننا نرى شعاع هذا النور في أسئلته الكثيرة العميقة التي تدهشنا وتحيرنا أمامه مثل « من صنع الآله في بدء الابدية ؟ » — « أين كنت قبل مجيئي الى العالم ؟ » — « لماذا لا يقتل الله الشيطان حتى ينتهي الشر الموجود بالعالم ؟ » — « أين تذهب الناس بعد الموت ؟ » الى غير ذلك .

فالطفل يولد بعاطفة دينية قوية بدونها يكون من الصعب بث روح الدين في نفسه فأن الدين شيء نفساني لا يمكن اكتسابه بالتعليم الخارجي . وأننا نجده مستعداً لقبول اعتقادات روحية تناسب أدراكه فمثلا نقول له أن ملاكا يلازمه على كتفه الايمن ليحرسه من كل ضرر فيجيب أنه يرى ذلك الملاك بعينيه ونؤكد له أن الله معه في حجرته المظلمة فيجاهد أن يتغلب على خوفه فيهدأ خفقان قلبه وتختفي الاشباح المخيفة التي كانت ترقص حوله ويصرخ قائلا . أيها الآله أحقيقة أنت موجود معي ؟ . نخبره أيضاً أن الله روح فيمثل الذات العلية بدائرة في وسطها ثقب لانه يدرك أن الروح

غير مجسمة فلا تحجب ماوراءها من الاشياء — ونطلب منه أن يرسم الشمس فيرسم قرصاً مستديراً وراءه رجل يدفعه للامام رمزاً الى تلك القوة الغير منظورة التي ترسل لنا الشمس يومياً في ميعاد واحد .

ودين الطفل من نوع ادراكه يشمل الحقيقة مكسوة بالخيال كما أنه كطبيعته متغير وغير ثابت فالطفل الذي يدعو لربه أن يحرسه أثناء نومه يناقض نفسه سريعاً ويطلب من والدته أن تحرسه هي بنفسها لانه لايريد الله أن يحرسه . والطفل الذي يصلي لاجل رجوع والده من غيابه لايلبث أن يسأم الصلاة مدعياً أن الله بطيء في الاجابة . وعلى الأم وقتئذ أن توضح ماهو غامض وتثبت ماهو متزعزع حتى لاتموت عاطفة الطفل الروحية . وهي أيضاً المسئولة عن اجابة أسئلة الطفل المتعددة وخصوصاً أسئلته عن الميلاد وعن الموت الامرين اللذين يحيرانه كثيراً . فتبين له قدرة الخالق في كلا الامرين ولا تشوه معرفته بأخفاء الحقيقة عنه . فاذا ماولد للطفل أخ وسأل « من أين وكيف جاء أخي الطفل ؟ » لاتخبيء عنه أقدس وظائف الحياة وتخبره أن الطبيب أحضره في حقيبته أو أنه وجد على باب الكنيسة أو الجامع أو تحاطله ولا تجيبه بالمرة بل تخبره أن الله هو الذي أرسل الطفل بطريقة سرية عجيبة فأن العالم ملآن بالاسرار فالطفل لايعرف من أين يأتي الريح أو البرق أو الرعد فهو يقبل أعجوبة الميلاد كسر جميل كباقي الاسرار الحيوية التي لايفهمها بعد . يعرف الطفل ان الله هو الذي خلق والده ووالدته وأنه هو الذي صنع الازهار التي يشتمها والقط الذي يلاعبه فهو أيضاً الذي قد أرسل الطفل الجديد هدية له ولوالدته وقد كان ذلك الطفل محفوظاً قبل وصوله الى العالم بالقرب من قلب والدته حتى لايمسه ضرر .

كذلك يموت أحد معارف الطفل فينزعج وتشغل المسألة فكره فيسأل الى أين ذهب فلان ؟

يجيبه الام على سؤاله هذا بأن تذكره بلذة الراحة التامة التي يشعر بها عند ما يستغرق في النوم بعد جهاد عظيم . فهو ينام ليلا ثم تستيقظ في الصباح منتعشاً ومستريحاً . فالله يعطي الذين يحبهم راحة بالنوم وهو أيضاً لفائق رحمته بالمرضى الذين تعبوا من الالم ينيمهم نوماً عميقاً جداً ليرتاحوا ثم يستيقظون في عالم آخر سالمين من المرض . فيقبل الطفل مثل هذه النظرية بسهوله

والغرض من تعليم الدين في بدء حياة الطفل ليس ارشاد الطفل في العقائد والمذاهب والشرائع الدينية بل تقوية العاطفة الدينية بواسطة تقوية روح المحبة للمجتمع الذي يعيش فيه الطفل فتتسع دائرة وده شيئاً فشيئاً حتى تصل الخالق الذي لا يحد . كذلك بتربية روح الاعجاب بالخليقة التي حوله . فان الطفل يشاهد ما حوله من القوى الطبيعية ويعترف أنها عجيبة وهائلة فيتدرج فكره من الخليقة المحسوسة الى خالقها الغير منظور . فهو يشاهد الريح الذى يحرك الدخان والاعلام والازرار التي تتفتح وتخرج منها الازهار والشمس التي تشرق وتغرب يومياً وغيرها من العجائب التي تدهشه حتى يأتي يوم يدرك فيه ان هناك قوة تحرك وتحكم هذا الكون وان تلك القوة التى تصنع زنابق الحقل وترسل النور والظلام هي التي خلقته فينمو في قلبه الاعجاب والرهبة والمحبة لتلك القوة ويقوى شعوره الديني الذي هو الاساس الوحيد للافكار الصالحة التى تنتج الاعمال الصالحة

فتعليم الطفل الديني يكون غير مباشر لسن السادسة وينحصر في

المؤثرات الاولى التي محسوسة فركوع الام للصلاة امام طفلها يؤثر في نفسه تأثيراً قوياً اذ يشعر انها تخاطب قوة علويه عظيمة . كما ان لهجتها في الكلام عند ذكر الاشياء المقدسة تولد في نفسه بطريقة غير محسوسة احتراماً لتلك الاشياء قبل ان يدرك معناها . فكما ان الهواء الذي حوله يؤثر في صحته كذلك الحياة التي حوله تؤثر في نفسه . فلتتعلم الاولاد منذ الصغر من شفتي أم تقية سر الوجود ونواميس الحياة قبل ان تعمى أكاذيب الشيطان أبصارهم ويدنس فساد العالم قلوبهم فيخرجوا الى العالم مسلحين بترس الحق وقابضين على سلاح التقوى

املى عبد المسيح

الموسيقى والغناء

الموسيقى والغناء فن قصد به التأثير في الروح بتنسيق الصوت وجعله على نمط ترتاح له النفس ويهتز له القلب . وهو القوة التي تساعد النطق في التأثير في السامع . وكان من اللازم لطالب الفلسفة عند القدماء من الاحاطة بفن الموسيقى . وقد أطلقوا عليه لفظ « أرمونيا » ومعناها التنظيم والتنسيق وقد نعت العالمان الحكيمان « فيتاغورس » و « هرمز » فن الموسيقى بأنه العلم المنظم لكل شيء .

وقد أجمع العلماء على ألاَّ شيء في العالم يعادل تأثير الموسيقى والغناء في تهيئة النفوس . وتوطئة القلب للتحلي بالفضائل والكمالات ومع لا يؤثران فيه لا بد أن يكون به نقص في الخلقة وضعف في الشعور والاحساس